﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

حكى الله تعالى هنا عن موسى عليه السلام أنَّه لمَّا سمع منهم هذا الكلام المتضمِّن العصيان والتَّمرُّد والمخالفة ومقالتهم كلمة الكفر، ولم يبقَ معه مطيعٌ موافق يثق به إلَّا هارون، فأحسَّ النَّبيُّ القويُّ الأمين بالعبء الَّذي أُلقي على هذه الجماعة وتخاذلها عن حمله، فتقدَّم إلى ربِّه بالمعذرة يرجو بها المغفرة، فقال ما حكاه الله تعالى عنه: إِنِّي لا أَمْلِكُ لنصرة دينك إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: الفاءُ والرَّاءُ والقافُ: أصل يدلُّ على تمييز، وتزييل بين شيئين، ومنه: فرْق الشَّعر[2]، فالفَرْقُ: موضع المَفرِق من الرَّأس في الشَّعر[3]، وسُمِّي القُرآن فرْقانًا؛ لأَنَّه فَرَقَ بَين الحقِّ وَالْبَاطِل، فكلُّ شَيْئَيْنِ فصلتَ بَيْنهمَا؛ فقد فرَقتهما فَرْقًا[4]، "سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر، أو بفصل تدركه البصيرة، قال تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾"[5]، والفرق: خلافُ الجمع[6]، فالمعنى المحوريُّ للفرق: هو فصلُ بعض شيءٍ، أو أشياءَ من بعضها الآخر فصلًا واصلًا إلى العُمْق: كالفرق بين النَّخلتين، والعُرفين، والشَّعر، وهو واصل إلى المنبت[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قدَّم موسى عليه السلام معذرته بالالتجاء إلى ربِّه الَّذي خلقه وربَّاه متضرِّعًا إليه، مبيِّنًا

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/621، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/334، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2118.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرق).
(3) الخليل، العين: (فرق).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (فرق).
(5) الرّاغب، المفردات: (فرق).
(6) ابن سيده، المحكم: (فرق).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرق).

أنَّه أعلم بحاله، وأنَّه في طاعته لَا يخرج عنها، وأنَّه لَا يملك من أمر قومه شيئًا، وإنَّما الأمر كلُّه لله تعالى، وأنَّه لَا يستطيع أن يجعل من ضعف نفوسهم قوَّة، ولا من استخذائهم عزَّة، ولا من تقاعدهم همَّة، ولا يملك إلَّا نفسه وأخاه، فهو لَا يضمن إلَّا إيَّاهما، وهما وحدهما لَا يملكان الدُّخول إلى هذه الأرض[1]. ومعنى العبارة: إنَّني لا أملك أمر أحد أحمله على طاعتك إلَّا أمر نفسي وأمر أخي، ولا أثق بغيرنا أن يطيعك في اليُسر والعُسر، والمَنشط والمكره[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستئناف دون الوصل في المطلع:

جملة ﴿قَالَ﴾ لا محلَّ لها استئنافيَّة[3]، وعَدَلَ عن الوصل إلى الاستئناف انتقالًا إلى موقف الاعتذار وبثِّ الحزن؛ تبرُّؤًا ممَّا فعل بنو إسرائيل.

نكْتَة حذف حرف النِّداء مع ﴿رَبِّ﴾:

حـــذف (يـــا) للـمبـالـغـة في تـصـويـر قُـرب المنادَى

جملة النِّداء ﴿رَبِّ﴾: لا محلَّ لها اعتراضيَّة غرضُها الاسترحام[4]، و(ياء) النِّداء تستعمل لنداء البعيد في الغالب، واللّٰه تعالى قريب إلى عبده، فكان مقتضى البلاغة حذفها، فـ"النِّداء إنَّما يحتاج إليه عند البُعد، أمَّا عند القرب؛ فلا"، وإنَّ العبد إذا واظب على التَّضرُّع؛ نال القرب من اللّٰه تعالى[5].

فإذا قُرِّر نداء العباد للرَّبِّ؛ أتى بأمور تستدعي قرب الإجابة، ومنها: إسقاط حرف النِّداء المشير إلى قرب المنادى، وأنَّه حاضر مع المنادي غير غافل عنه[6]، فالحذف فيه للمبالغة في تصوير قُرب المنادَى (الرَّبِّ)؛ حيث إنَّ معناه: المربِّي، والسَّيِّد، والمالك،

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2118.
(2) رضا، تفسير المنار: 6/277.
(3) صافي، الجدول: 6/321.
(4) صافي، الجدول: 6/321.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/124.
(6) القاسمي، محاسن التأويل: 1/88.

وهو بهذه المعاني من شأنه أن يكون قريبًا، حاضرًا لا يحتاج في ندائه إلى وسائط[1].

بلاغةُ التَّوكيد بـ (إنَّ) وبأسلوب القصر:

التَّوكيد يُظهر جانب معاناة موسى عليه السلام من قومه

وقد جاء تأكيد كلام موسى عليه السلام معذرته بـ"إنَّ" وبالقصر[2]؛ قصدًا إلى بيان قلَّة من يوافقه، وتشبيهًا لحالِه بحالِ مَنْ لا يملكُ إلَّا نفسَه وأخاه[3]، وهو في الوقت الَّذي أثبت - بأسلوب الحصر - أنَّه لا يملك إلَّا نفسه وأخاه، فإنَّه نفى الملكيَّة عن غيرهما على طريق المبالغة والتَّجوُّز، فلم يعتدَّ بإيمان الرَّجلين؛ نظرًا إلى تقلُّب قومه، وتغيُّر أحوالهم[4].

بلاغة العدول عن الإنشاءِ إلى الخبر في الدُّعاء:

يصح الدُّعاءُ بالإخبارِ عن الحالِ للعليم الرَّحيم

قوله تعالى على لسانِ موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ صورته خبر، ومعناه إنشاء[5]، فهو من البثِّ والحزن والحسرة والشَّكوى إلى الله، والاعتذار إليه، والتَّنصُّل من فسق قومه عن أمره الَّذي يبلِّغه عن ربِّه، ورقَّة القلب الَّتي بمثلها تستجلب الرَّحمة، وتستنزل النُّصرة، ونحوه قول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86][6].

وجه قول موسى عليه السلام: ﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾:

الملك نوعان تصرف وتملك، والمقصود في الآية ملك التَّصرف

إن قيل: كيف يصح أن يقول: ﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾، والإنسان في الحقيقة لا يملك نفسه وأخاه، إذ الملك هو التصرف في الشيء بالبيع والشراء؟

(1) بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 130.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2118.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 3/279.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622.
(5) رضا، تفسير المنار: 6/276.
(6) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/621، ورضا، تفسير المنار: 6/276.

والجواب: أن هذا القول هو من مقتضى تصرف العرب في كلامها، ومقتضى معرفة حقائق الأشياء؛ فإنَّ الإنسان إذا انقاد له قواه فيما يَسُومُها من فعل الخير؛ يقال: هو مالكٌ لنفسه، وإذا امتنعت عليه قواه؛ يقال: هو غير مالك لها، وليس تصرف المَلِكِ والمَالك على وجه واحد[1]، ولأنَّ هارون كان يطيع (موسى)؛ فلذلك أخبر أنَّه يملكه - على إعراب ﴿وَأَخِي﴾ منصوبًا عطفًا على ﴿نَفْسِي﴾[2]، ولاختصاصِ هارون به، ولمزيد الاعتناء بأخيه[3]، أو لأنَّه كان محرِّضًا للقوم على دخول القرية[4].

وجْه الاستعارة في لفظ: ﴿وَأَخِي﴾:

تشبيه أخوَّة في الدِّين بأخوّة النَّسب لا يظهرُ معناها في السِّياق

جوَّز الزمخشريُّ إرادة معنى: (ومن يُؤاخِيني على ديني) في لفظ ﴿وَأَخِي﴾، من باب تشبيهِ الأخوَّة في الدِّين بالأخوَّة في النَّسبِ، وعلى هذا التَّقدير يدخل الرَّجلان في قوله: ﴿وَأَخِي﴾[5]، وعلى معنى دخول الرَّجلين في معنى الأخوَّة يكون (أخي) اسْتعَارَة، وفيه إشَارَة إلَى أنَّ قومه خارجون عن المؤاخاة في الدِّين[6]، وهو تجويزٌ لا يُساعد عليه المقام، ولا يهدي إلى السِّياق، ولو كان هذا المرادُ لأتى بنظم يدل عليه كقولِه تعالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: 40]، وتجويز الزَّمخشريِّ صناعيٌّ لا بلاغيٌّ.

دلالة نفي الفعل المضارع بلا:

حرف النفي ﴿لَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ خلَّص الفعل المضارعَ إلى الحال، ولو قال مثلًا: (لن أملك

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/318.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/176.
(3) الخازن، لباب التأويل: 2/33.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/167.
(5) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622.
(6) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/439.

إلَّا نفسي)، لتخلَّص الفعل للاستقبال[1]، ودلالة الحال مرادة؛ لكون معذرة موسى ﷺ وشكواه إلى الله كانت في الحال ردًّا على عصيان بني إسرائيل، وهو ما يعكس رحمة موسى ﷺ بقومه، فهو يرجو لهم الخير والهداية في المستقبل.

معـذرة مـوسى وشكـواه كانت للحال للحال طـمـعًـا في هداية قومه في المستقبل

دلالة حرف الفاء:

﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا﴾: يريد نفسه وأخاه، ﴿وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، والفاء: جزائيَّة؛ لترتيب الفرقِ على ما قبله؛ أي: لما كنت لا أملك إلّا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، أو الدُّعاء بالفرقِ على ما قبلَه[2]؛ أي: لما عصوني قومي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.

دلالة التَّعبير بلفظ: ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾:

التَّعبير بطلب التفريق في معنى: الدُّعاء عليهم؛ أي: فافصل بَيۡنَنَا وبينهم بحكم، وافتح بأن تحكم لنا بما نستحقُّ، وتحكم عليهم بما يستحقُّون، حكمًا يفرِّق هذا الاختلاف، ويلمُّ الشَّعث[3]، أو افرق بين مسكنينا في الدُّنيا، أو بين منزلينا في الآخرة[4].

دعـــاءُ مـوسى بـالـفـصلِ بينه وبين الفاسقين منهجٌ إسلاميٌّ قويم

والدَّليل على إرادة معنى الدُّعاء: أنَّه ﷻ عقَّب بما يدلُّ على استجابة دعائه ﷻ بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾، ولا شكَّ أنَّ التِّيه، والمنع من الدخول في الأرض المقدَّسة، من أشدِّ البلاء، ولولا اشتمال دعائه على الدُّعاء عليهم؛ لم يحسن هذا التَّرتيب[5]، وكذلك نبَّه على العلَّة الموجبة للتَّفرقة بينهم وبين الفسق، فالمطيع لا يريد صحبة الفاسق، ولا يؤثرها؛ لئلَّا يصيبه بالصُّحبة ما يصيبه[6].

(1) فاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 3/363 - 364.
(2) أبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/25، والقونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/440.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/176.
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/319.
(5) الطّيبي، فتوحُ الغيب: 5/328.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/472.

علّة التّصريح بوصف الفاسِقين:

القيمة الهدائيّة هي الملحوظة في غالب نظم القرآن

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ولم يقل: بيننا وبينهم؛ وذلك ليكون دعاؤه أبلغ وأقرب إلى استعمال الأدب في مخاطبة اللّه تعالى، ولأنه من يجوز أن يصلح منهم بعضهم، فيجب أن لا يعين، بل يذكر الوصف الذي هو الفسق فيتعلَّق به الحكم[1].

علّة التّعبير بالفسق دون الكفر:

منهجُ التّعاملِ مع الفاسقين محكومٌ بحكمة الإسلامِ ورحمتِه

وذكر الفسق دون الكفر؛ إذ هو أعمُّ منه[2]؛ لأنَّ القوم خارجُون عن الطَّاعة، يجاهرُون بالمعاصي، ويصرُّون عليها، وليسوا كافرين جاحدين بموسى عليه السلام وربِّه، فهذا الوصف تعيينٌ لحقيقةِ حالهم، فلا يجوزُ لأحدٍ أن ينعتهم بالكفرِ، أو ينعت من يُشابههم في هذه الأمَّة، فإنَّ هذا من الخروج عن حكم الوسطيَّة والاعتدال في التَّعاملِ مع الفاسقين.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الفاسق، والعاصي:

الفاسق: الخارج عن حجر الشَّرع، وهو أعمُّ من الكفر، وأكثر ما يقال لمن التزم حكم الشَّرع، وأقرَّ به، ثمَّ أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصليِّ: فَاسِقٌ؛ فلأنَّه أخلَّ بحكم ما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة، فالفاسق أعمُّ من الكافر[3]، وَقد يكونُ الفُسوقُ شِرْكًا، وَيكون إثْمًا، والفاسق: هو جارَ، ومالَ، وخرج عَن طاعَةِ اللّه عزّ وجلّ متظاهرًا بالمعاصي[4].

والعاصي: المخالف الأمر، والخارج عن الطَّاعة[5]، من غير

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/319.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/319.
(3) الرّاغب، المفردات: (فسق).
(4) الزّبيدي، تاج العروس: (فسق).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (عصو).

تظاهر بالمعاصي، أو إصرار عليها، وناسب لفظ ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ السِّياقَ؛ لتضمُّن معناه الإخلال بجميع أحكام الشَّرع أو ببعضها بعد أنْ أقرَّ بها، ولذلك دعا موسى عليه السلام أن يفرق الله بينه وبينهم.

الفَصْل، والفَرْق:

الفَصْلُ: إبانة أحد الشَّيئين من الآخر، حتَّى يكون بينهما فرجة[1] من غير انفصال أو بون.

وأمَّا الفَرْقُ؛ فيقال اعتبارًا بالانفصال، فالفِرْقُ: القطعة المنفصلة، ومنه: الفِرْقَةُ، والفَرِيقُ: للجماعة المتفرِّدة من النَّاس، المتفرِّقة عن آخرين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾ [الشُّعراء:63][2]، والتَّعبير بقوله: ﴿فَأَفۡرُقۡ﴾ أنسب لوصفهم بالفاسقين؛ إذ لا وجْه للالتقاء بين من يقرُّ بشرعة النَّبيِّ المرسل، ويداوم على الإخلال بأحكامها.

(1) الرّاغب، المفردات: (فصل).
(2) الرّاغب، المفردات: (فرق).

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»